

# منبر المحراب

السنة العشرون  
العدد ٩٧٤ - ٣٠ / صفر / ١٤٣٣ هـ  
الموافق ٢٤ / كانون الثاني / ٢٠١٢ م

## الهجرة إلى الرسول ﷺ: «بين هجرة الأجساد وهجرة النفوس»

### محاور الموضوع الرئيسية:

١. الهجرة النبوية حركة تغيير عظمى.
٢. الهجرة لا تنقطع.
٣. الهجرة هجرتان.
٤. حذار الهجرة المعاكسة.

### الهدف:

التعرف على عظمة الهجرة النبوية ومعاني الهجرة، والحث على الهجرة المعنوية، بالتوبة وإرادة التغيير.

### تصدير الموضوع:

عن رسول الله ﷺ: «لَمَقَامٌ أَحَدُكُمْ فِي الدُّنْيَا، يَتَكَلَّمُ بِحَقِّ يَرُدُّ بِهِ بَاطِلًا، أَوْ يَنْصُرُ بِهِ حَقًّا، أَفْضَلُ مِنْ هِجْرَةٍ مَعِيَ»<sup>(١)</sup>.

(١) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٤، باب الهجرة.

### مقدمة:

إن المعنى اللغوي لكلمة هجرة لا يكاد يختلف عليه اثنان، فهي مفارقة شيء إلى شيء أو ما بهذا المعنى. وقد أصبحت بعد الإسلام مستخدمة في الأعم الأغلب، في حادثة خروج النبي ﷺ والمسلمين من مكة إلى المدينة التي تنوّرت بقدمه إليها مهاجراً بعدما عانى والمسلمين ما عانوه من ظلم واضطهاد.

الهجرة النبوية حركة تغيير عظمى:

لقد كانت الهجرة النبوية حركة بالأجساد من مكان إلى مكان، ولكنها أيضاً حركة في الزمان، كان ما قبلها وما بعدها سيكون غير.

فهي مفارقة لأحوال تلابس المكان والزمان إلى ما يفتح الأمل على تغيير الأحوال، فهي حركة تفتتح على امكان التغيير نحو الأفضل. ولذا كانت الهجرة لطيفة مرحلة من الإضطهاد والتكبد والصد والتأمر، حيث عانى فيها الدين وأهلُه شتى أنواع الظلم والملاحقة والتعذيب والتكبد، هذا الطي جاء ليكون مقدمة لبسط مرحلة أخرى يُراد أن تكون مرحلة تأسيسية ينتقل فيها المسلمون والإسلام من الحصار، وتضييق الخناق، إلى الحرية والإنعتاق، ويتمزق فيها جدار الجهل والجاهلية، وتحطم قيود الذل إلى العز، وينتقل بها من البداوة إلى الحضارة...

فالهجرة خطوة خطتها أقدام هذه المجموعة الصغيرة، ولكنها كانت كأنها رائدة البشرية كل البشرية، نحو عصور جديدة من النور، بعد عصور الظلمات. فلقد كانت بهذا المعنى تخطيطاً إلهياً لصنع الإنسانية الجديدة.

ولإيجاد مأمّن للرسول ﷺ والدين والمتدينين، يمارسون فيه شعائر دينهم وينشرونه عقائد وشريعة ومفاهيم وقيماً؛ وكانت بذلك المدينة قاعدة جديدة للتحرك والإنطلاق، بعد أن كادت الدعوة تختنق بحصار المكّين، وكانت كذلك لتكون نواة المجتمع المتدين الذي يمارس حياته

على ضوء دينه دون قيود. وكذلك لتصبح هذه المدينة منارةً يشعّ بالأخلاق الجديدة في أفق الصحراء.

وهذه المجموعة التي كانت تعيش الإضطهاد والتضييق، كان المطلوب منها أن توسّع من آفاقها وطموحاتها وبالتالي أحلامها... فكانت الهجرة توسيعاً لآفاق التلة المؤمنة الأولى، فقد وضعت الهجرة هذه التلة أمام مخاض استيلاء الإنسانية الجديدة، من رحم تلك الظروف، فجاءت لتفجر طاقاتها الخلاقة عبر آلام الجهاد والمواجهة؛ فأشرقت من أجواء المكابدة الجديدة كواكب مشرقة انعكست في مرآتها الكمالات الأخلاقية الفردية والاجتماعية.

وبعبارة موجزة لقد أشبهت تجربة الهجرة النبوية، تنوّر نوح ﷺ الذي فاض بدل الماء نوراً أضاء العوالم والأزمنة. فالهجرة شحذت همّة المؤمنين، ليقيموا عزائمهم، ويوسعوا دوائر اهتماماتهم وآفاق رؤاهم، بما يجاوز الهمّ المعاش واللحظة والمكان.

### الهجرة لا تنقطع:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾<sup>(١)</sup> فالآية تحض المسلمين زمن رسول الله ﷺ على أن يهاجروا إلى مهجر الرسول ﷺ

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٠.



## إليه يصعد الكلم الطيب

. وعنه عليه السلام: «الهجرة هجرتان، هجرة الحاضر، وهجرة البادي، هجرة البادي أن يجيب إذا دُعي، ويطيع إذا أُمِر، وهجرة الحاضر، أعظمها بلية وأفضلها أجراً»<sup>(أ)</sup>.

### حذار الهجرة المعاكسة:

لا بدّ من الإلفات إلى أمر حاصل في هذا الزمن كان قد نبّه عليه الإسلام، وأسماه التعرّب بعد الهجرة، والذي مصداقه في هذا الزمن أن يهاجر الإنسان من وطنه الذي فيه الدين والتدين والتعلّم الديني، إلى بلد يُخاف عليه فيه من الكفر، أو قلة الدين، حيث لا تَعْلَم ولا تَدِين. كما قد يَحْتَجّ البعض في هذا الزمن، بالضائقة المائيّة، التي تُوجب عليه السفر، لطلب الرزق وهذا وإن كان في حدّ ذاته جائزاً. بل قد يكون مطلوباً، لكنّ الحذر هو من الإنقطاع عن أجواء الدين والتدين، والتتقّف الديني، مما يجعل الإنسان فريسةً للشبهات والشهوات.

عن الإمام الرضا عليه السلام: «حَرَمَ الله التعرّب بعد الهجرة للرجوع عن الدين، وترك الموازنة للأنبياء، والحجج عليهم السلام وما في ذلك من الفساد، وإبطال حقّ كلّ ذي حقّ لعلّة سكتى البدو، ولذلك لو عَرَفَ الرجل الدين كاملاً، لم يَجْزَ له مساكنة أهل الجهل، والخوف عليه، لأنّه لا يُؤْمَنُ أن يقع منه ترك العلم، والدخول مع أهل التماادي في ذلك»<sup>(أ)</sup>.

لا مساحة ولا حرّية للمعتقد، ولأداء السنن، ونشر الدعوة، إلى بلادٍ تُتاح فيها ممارسة الشعائر وإقامة السنن وأداء الفرائض والتعلّم والتعليم.

وهناك هجرة معنوية وهي ما عبرت عنه الرواية بهجران السيئات، أي أن يهاجر الإنسان من ما هو عليه من الممارسات والأعمال القبيحة، والعادات السيئة، والأخلاق الذميمة إلى الأعمال الصالحة، والعادات الحسنة، والأخلاق الحميدة، وهذا النوع من الهجرة لا يمكن أن ينتهي. طالما أن باب التوبة مفتوح وعليه، فالتوبة هي: هجرة إلى الله وتعني التماهي مع النموذج الإلهي للإنسان وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وهناك روايات تدلّ على أنّ بعض الناس قد يكون مهاجراً بالجسد، وليس مهاجراً حقيقة والعكس صحيح، منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «ويقول الرجل هاجرته ولم يهاجر، إنما المهاجرون الذين يهجرون السيئات ولم يأتوا بها»<sup>(ب)</sup>، وإليك بعض الروايات المفيدة لهذا المعنى:

. عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل الهجرة أن تهجر ما كره الله»<sup>(ج)</sup>.

. عنه عليه السلام: «أقم الصلاة، وأدّ الزكاة، وأهجر السوء، واسكن من الأرض حيث شئت تكن مهاجراً»<sup>(د)</sup>.

. وعنه عليه السلام: «المهاجر من هجر الخطايا والذنوب»<sup>(هـ)</sup>.

ولو كلفتهم الهجرة الموت في الطريق إلى المقصد، وقد وَعَدَ الله الخارج مهاجراً إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أجراً جعله عليه تعظيماً له، وصل المهاجر أم لم يصل.

فالمهاجرة كما قال صاحب الميزان إلى الله ورسوله كناية عن المهاجرة أرض الإسلام...

لكنه عليه السلام يعود ليقول: «... والآيات تجري بمضامينها على المسلمين في جميع الأوقات والأزمنة، وإن كان سبب نزولها حال المسلمين في جزيرة العرب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين هجرته إلى المدينة وفتح مكة»<sup>(١)</sup> وعليه فكل هجرة لمسلم يفرّ بها بدينه من الأمكنة التي لا تكون له فيها حرية ممارسة دينه وإقامة شعائره إلى ما له فيها تلك الحرية يصبح مشمولاً بالآية.

فعن الإمام علي عليه السلام: «الهجرة قائمة على حدّها الأول، ما كان لله في أهل الأرض حاجة من مُستسرّ الأمة ومعلنها، لا يقع اسم الهجرة إلا بمعرفة الحجة في الأرض، فمن عرفها وأقرّ بها فهو مهاجر...»<sup>(٢)</sup>.

### الهجرة هجرتان:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الهجرة هجرتان: إحداهما أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله تعالى ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تقبلت التوبة»<sup>(٣)</sup> وبناءً على هذه الرواية فإن الهجرة هجرتان واحدة مادية، تكون بهجرة الأجساد لدار الكفر، حيث

(٤) تفسير الأمثل الشيرازي، ج ٣، ص ٤١٧.

(٥) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، باب

الهجرة.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر نفسه.

(١) الميزان، ج ٥، ص ٥٣.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، باب الهجرة، ج ٤.

(٣) المصدر نفسه.

(أ) نفسه.

(٩) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، باب

الهجرة.